

ثنائية اللغة دراسة في علم اللغة الاجتماعي

Mustamin Fattah*

Abstrak: Tidak dipungkiri adanya orang yang mampu menggunakan banyak bahasa, orang yang memahami lebih dari satu bahasa dikenal dengan nama “bilingualism” (ثنائية اللغة), sementara itu, orang yang mampu berkomunikasi dengan lebih dari satu bahasa dikenal dengan nama “bilingualitas” (بثنائية اللغة). Menurut para ahli, bahwa orang yang menguasai dua bahasa atau bilingualism tidak semuanya mampu menggunakannya dalam komunikasi sehari-hari. Oleh karena itu, seorang penutur dua bahasa hanya mampu menggunakan satu bahasa dengan baik selama dia dalam kondisi atau tempat tertentu, dan akan mampu berkomunikasi dengan bahasa kedua ketika berada di tempat lain (daerah atau negara penuturnya), apakah dia berada di daerah tersebut dalam waktu singkat ataupun dalam waktu yang lama. Maka kelompok bilingualisme akan mampu berkomunikasi dengan dua bahasa (bilingualitas) setelah melalui latihan dan pembiasaan dalam beberapa tahun.

Kata Kunci: *Bilingualism, Bilingualitas, Dua Bahasa*

أ- المقدمة

من المعروف أن هناك ناطقين بمختلف اللغات لدى كثير من دول العالم سواء كانوا في مدنها أو في أريافها. بإندونيسيا مثلا، كثير من الناس من يجيد الكلام بأكثر من لغة كأن يتكلم باللغتين المحلية (مثل الجاوية) والإندونيسية معا. فالمجتمعات أو المناطق التي يوجد فيها ناطق بأكثر من لغة يطلق عليها بالمجتمع الثنائي اللغة. والذي يجيد الكلام بأكثر

*Dosen tetap STAIN Samarinda

من لغة يسمى بثنائي اللغة أو الناطق بثنائية اللغة. وتحاشيا عن الالتباس في هذا المفهوم ولمزيد من الإيضاح نقدم فيما يلي مصطلحين من الفكرتين المتباينتين.

ب - ثنائي اللغة وثنائية اللغة

وإذا نظرنا إلى ناطق باللغتين في معاملته مع الآخرين فنسميه بثنائي اللغة (bilingualisme) لأنه يمارس ثنائية اللغة. فثنائي اللغة عبارة عن التعود باستخدام اللغتين في التفاعل الاجتماعي مع الآخرين. وإذا نظرنا إلى كفاءة الناطق بثنائية اللغة أي بلغتين فنطلق عليه ثنائية اللغة (bilingualitas). فالناطق باللغتين يتضمن مفهوم التعود باستخدام اللغتين، أو الكفاءة في استخدام اللغتين. أي بعبارة أخرى نتمكن من التمييز بين المصطلحين، فثنائية اللغة تعزو إلى معنى التعود بالنطق، والناطق بثنائي اللغة يتضمن مفهوم الكفاءة. ورغم ذلك نفضل استخدام ثنائي اللغة وثنائية اللغة كمصطلحين في هذا البحث^١.

وإذا تأملنا في العلاقة المنطقية بين المصطلحين ثنائي اللغة وثنائية اللغة سنؤكد أن الذين يجيدون ثنائية اللغة ليس كلهم يمارس ثنائي اللغة في حياتهم اليومية، ويتوقف ذلك إلى الأوضاع اللغوية في بيئتهم. فمن الممكن أن يستخدم الناطق باللغتين لغة واحدة طوال تواجده في منطقة ويتكلم بلغة ثانية عند تواجده في منطقة أخرى سواء لمدة قصيرة أم لفترات طويلة. فثنائي اللغة في الحالة السابقة يمكن ممارسته بصورة متوالية وفي فترة طويلة وبعد تراخي السنوات المتعددة.

ومع ذلك، علينا أن نفهم أن الإنسان لا يتمكن من إجراء عملية ثنائي اللغة بدون اكتساب الكفاءة في ذلك. أي بعبارة أخرى من البديهي أن يتضمن ثنائي اللغة على ثنائية اللغة، فلا بد لأحد أن يكتسب كفاءة ثنائية اللغة قبل ممارسة ثنائي اللغة.

^١ نبابان، المدخل في علم اللغة الاجتماعي، غراميديا، جاكرتا ١٩٨٤ ص ٢٧

ج - تحويل الشفرة واختلاط الشفرات

تحويل الشفرة هو عملية تحويل من شفرة إلى أخرى – فإذا تحدث ناطق مستخدماً الشفرة (أ) اللغة الوطنية / القومية مثلاً ثم ينتقل ويستخدم الشفرة (ب) اللغة المحلية مثلاً. فمثل هذا التحويل في اللغة يسمى تحويل الشفرة. وبما أن في كل شفرة لها نوعيات سواء في النوعيات الإقليمية أو الطبقة الاجتماعية أو الألوان أو الأساليب أو الأنماط اللغوية فإن تحويل الشفرة يمكن أن يكون تحويل نوعية أو تحويل ألوان أو تحويل أساليب أو تحويل أنماط. ويمكن ملاحظة / متابعة هذه التحولة عن طريق نظام الصوت أو نظام الكلمة وشكلها أو نظام تركيب الجملة أو نظام مضمونها^٢.

وطبقاً لمضمون الشفرة فإن تحويل الشفرة يمكن أن يحدث بين اللغات وبين النوعيات الإقليمية والاجتماعية وبين أساليب وأنماط اللغة. وقال Hemys أن عملية تحويل الشفرة مصطلح عام لتسمية التغير في استخدام اللغتين أو أكثر وبعض النوعيات لإحدى اللغات وبل لبعض الأساليب في نوعية اللغة.

فإذا ما حدث تحويل الشفرة بين اللغات المحلية في لغة قومية أو بين اللهجات في إحدى اللغات المحلية أو بين الأساليب الموجودة في إحدى اللهجات فمثل هذا التحول يسمى التحويل الداخلي. ريثما إذا حدث هذا التحويل بين اللغة الأصلية (الأم) واللغة الأجنبية فيسمى التحويل الخارجي.

^٢ سوويطو، علم اللغة الاجتماعي، المدخل الأول، هندي، سوراكارتا، ١٩٨٣ ص ٦٨

هناك بعض العوامل المسببة في تحويل الشفرة، إن عوامل الشفرة ترجع إلى العوامل خارج اللغة وخاصة العوامل التي تعتبر في الغالب سببا بحدوث تحويل الشفرة، منها:

١- الناطق:

قد يحاول الناطق وهو على وعيه بتحويل الشفرة تجاه المخاطب لقصد ما مثلا. فإذا قابل الموظف رئيسه في المكتب (وفي جو رسمي) وكان المفروض أن يتخاطب باللغة الرسمية ولكن الواقع عكس ذلك.

فإذا استخدم الرئيس (وهو في موقعه الرسمي) اللغة الرسمية فيبدو أن يحاول المروءوس بقدر الإمكان بتحويل الشفرة باستخدام اللغة المحلية فعلية مثل هذا التحويل يقصد به لتغيير الجو. وهو من جو رسمي إلى جو غير رسمي وبهذه الحالة غير الرسمية يتوقع أن المسائل التي يتم بحثها يمكن حلها بوجه أسهل. ولكن إذا كان الرئيس لا يبدي إقبالا / لا يستجيب عرض تحويل الشفرة فيعتبر ذلك إحدى العلامات أن المحاولة لحل المشاكل لا يمكن أن يتم كما هو المرجو..

٢- المخاطب

يود كل ناطق على وجه العموم أن يقابل اللغة التي يستخدمها المخاطب. ومعنى ذلك عند المجتمع متعدد اللغات أن الناطق ربما يلزمه أن يقوم بتحويل الشفرة عدة مرات تجاه المخاطب الذي يقابله. وفي هذه الحالة يمكن تقسيم المخاطب إلى نوعين: أ) المخاطب ذو خلفية لغوية متساوية مع الناطق و ب) المخاطب ذو خلفية لغوية تخالف الناطق. وفي مواجهة المخاطب الأول فيكون تحويل الشفرة على شكل تحويل الأنماط (سواء إقليمية أو اجتماعية). أو تحويل الألوان أو تحويل الأساليب. وفي مواجهة المخاطب الثاني فيكون تحويل الشفرة على شكل تحويل من اللغة

المحلية إلى الأخرى التي يجيدها، ومن لغة محلية إلى لغة قومية أو فربما من كليهما إلى لغة أجنبية معينة.

٣- حضور / وجود الناطق الثالث

والاثنان من جماعة واحدة يتعاملان على وجه العموم بلغة جماعتهما. ولكن حينما يحضر المرء الثالث في هذه المحادثة وله خلفية لغوية أخرى تختلف بهما ففي الغالب يتحول الاثنان الأولان إلى اللغة التي يجيدها الثلاثة. واستخدامهما لغة جماعتهما وهما يدريان أن الرجل الثالث لا يفهم تلك اللغة يعتبر نوعا من السلوك غير المحمود.

٤- موضوع المحادثة

يعتبر موضوع المحادثة من العوامل الأساسية في تحديد تحويل الشفرة. وموضوع المحادثة في الأساس يمكن أن يقسم إلى قسمين أساسيين. أ) الموضوع له صفة رسمية مثلا عن (المهمات، الدولة، العلمية التربوية وغيرها) و ب) موضوع له صفة غير رسمية مثلا عن (المعاملة، الصداقة، الزمالة وغيرها). وموضوع القسم الأول تستخدم فيه غالبا لغة القوالب وبأسلوب محايد وبتعبير خطير. وفي موضوع القسم الثاني تستخدم فيه لغة غير قالبية بأسلوب انفعالي بعض الشيء وحسب المزاج.

وإذا كان الناطق يبدأ حديثه عن الأمور ذات صفة رسمية ثم يتحول إلى أمور غير رسمية ففي مثل هذه الحالة يصاحبه أيضا في تحويل الشفرة من لغة ذات القوالب الأسلوب المحايد والخطير إلى لغة غير قالبية وبأسلوب انفعالي بعض الشيء أو المزاح وحسب المزاج.

وإذا كان المخاطب أناس من جماعته فيكاد من المعين أن يتحول فورا إلى تحويل الشفرة في لغة جماعته.

٥- بعث المزاح

وتحويل الشفرة كثيرا ما يستفيد منه المدرس ورئيس الجلسة والفكاهي لبعث نوع من المزاح. فظهور المزاح عند المدرس مهم جدا لإنعاش الجو الذي بدأ يسوده الملل وخاصة في الحصص الدراسية الأخيرة كما يحتاج إليه رئيس الجلسة لمواجهة حالة التوتر التي بدأت تظهر في حل المشكلات لطول الزمن في تبادل الآراء / الأفكار وغيرها. وعند الفكاهي يبدو واضحا أن وظيفته هي جعل المتفرجين يشعرون بالفرحة والبهجة والسرور. ومثل هذا التحويل للشفرة أن يكون على شكل تحويل الأنماط أو تحويل الألوان أو تحويل أسلوب المحادثة.

٦- مجرد المكانة

بعض الناطق يقوم بتحويل الشفرة لمجرد المكانة. ويحدث هذا إذا كان عامل الوضع أو المخاطب أو الموضوع أو عوامل الظروف الاجتماعية الأخرى لا تلزمه لتحويل الشفرة وبعبارة أخرى سواء مقتضى الحال أو الظروف لا تؤيد عملية تحويل الشفرة. ولأن تحويل الشفرة في مثل هذه الحالة لا تؤيده العوامل التي كانت من المفروض أن تساعد فيعطى هذا انطبعا أنه كان عفويا وغير طبيعي. وكثيرا ما يجعله غير اتصالي. ومثل هذا التحويل من الشفرة يتم على أساس تقييم الناطق على أن إحدى اللغات أرقى قيمتها الاجتماعية من الأخرى.

وعندما يجرى الناطق مزج أو خلط اللغتين فأكثر أو النوعين من اللغة أو يمارس تصرفا لغويا بصورة عفوية وفي حالة مريحة مع عدم أي دافع لإجراء تلك الحالة اللغوية، فنسمي هذا التصرف اللغوي باختلاط الشفرات. وكانت عملية اختلاط الشفرات تحدث كثيرا في البلاد الإندونيسية عند إجراء الدردشة، فيتم خلط اللغة الإندونيسية باللغة المحلية. وعندما كان القائمون بالدردشة أصحاب الأكاديميين فيكون اختلاط الشفرات بين اللغة الإندونيسية واللغة الأجنبية (الإنجليزية أو الهولندية).

ويتصف اختلاط الشفرات بالحالة غير الرسمية والتلقائية، فقلما يحدث هذا التصرف اللغوي في الحالة الرسمية وذلك في حالة عدم معرفة الناطق التعبير المناسب للغة التي يتكلم بها في لغة المخاطب، فيحتاج ذلك إلى التعبير باللغة الأجنبية.^٣ فيما يلي نموذج من عملية انتقال اللغة من الدارجة المصرية إلى العربية الفصيحة:

بطريق : هل كتبت الخطاب إلى السيد هوتمان يا السيد ديك؟
فان ديك : أيوه نعم... خذ هذا!
بطريق : متشكر
فان ديك : آه... كان سيادته مدير المنظمة وأوصى بتقديم الإسهامات المالية إلى المعرض الهولندي العظيم
(وهل سيأتك حثروّح إلى معرض دا)
بطريق : (أيوه، حشوفه)
فان ديك : (تكلم جاد)
بطريق : (أيوه)
فان ديك : (عايز تشوفه إزي؟)
بطريق : (عشان حلوه أوي)
فان ديك : إيه نعم، هل تفكر أن ترسل الخطاب إلى الخارج اليوم؟
بطريق : بالطبع، سأرسله هذا المساء لأجلك.
فان ديك : ماشي.. هذا جميل.
نموذج من اختلاط الشفرات بين الدارجة المصرية والعربية الفصيحة
قهوجي : كنت فين يا أفندم، والله ماشوفتك من زمان؟

^٣ سوهردى باسوكي، علم اللغة الاجتماعي الجزء الثاني، وزارة التربية والثقافة. جاكوتا ١٩٩٥ ص ١٧٠-١٧٥ في التصرف

مبارك : عندي مشكلة شويه مع مراتي، هي زعلانه أوي علي
عشان أنا شهران بره

قهوجي : الله يفتح عليك يا أفندم، وإيه اللي جابك هنا؟

مبارك : يووووووه إنت ماعرفش ولا إيه.... بالصراحة، إنت
وحشتني أوي أوي

قهوجي : على فكره... أرسلت جواب؟

مبارك : جواب إيه يا حبيبي؟ ألم تعرف أنني فصلت العلاقة مع
رجال الأعمال خارج البلاد!

قهوجي : هذا غريب... أنت تفاجئني؟! وماذا رأيك يا د. فيصل؟

د. فيصل : أرى ألا تفصل العلاقة نهائيا وخاصة في أشياء قد تكسب
منها أرباحا هائلة

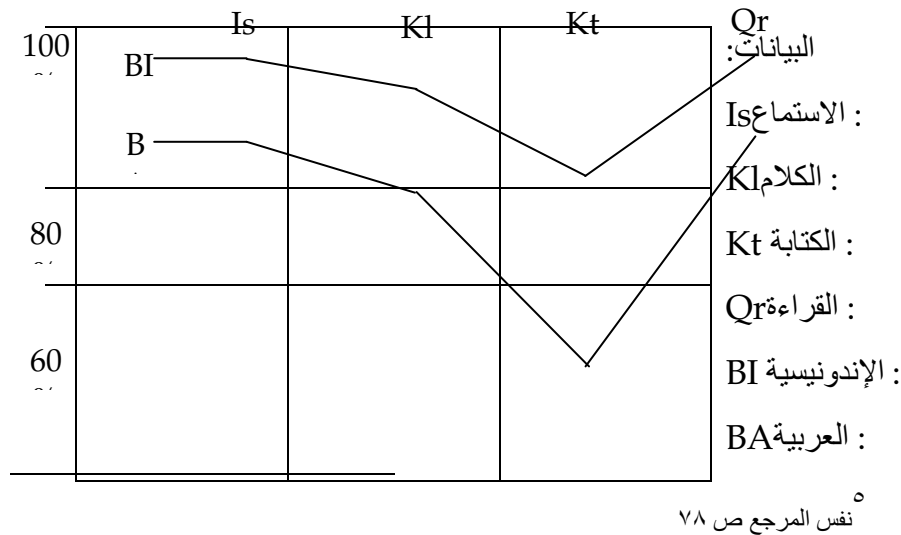
مبارك : بيأى مزبوض.... فكرة طيبة، الله يخليك يا دكتور! سأفعل
ذلك إن شاء الله.^٤

د- شخصية الناطق بثنائية اللغة

كما أشرنا إليه فيما سبق، أن ثنائية اللغة تعني اكتساب الكفاءة في استخدام اللغتين. وإذا تأملنا العلاقة بين تلك الكفاءة والناطق بثنائية اللغة بشكل دقيق ومتواز، فيتضح لنا أن الكفاءة والتصرف بثنائية اللغة تتفصل عن بعضهما وكل منهما يمشي باتجاه مختلف. وهذه الثنائية هي التي نعرفها بثنائية اللغة المتوازية (bilingualitas sejajar). وهناك نمط آخر من الثنائية يحدث في حالة تعلم الإنسان اللغة الثانية بعد استيعابه اللغة الأولى (الأساسية) بصورة جيدة، وخاصة في حالة يتعلم فيها دارس اللغة الأجنبية في المدارس. فكانت كفاءة وطبيعة الناطق باللغة الأساسية تتأثر في استخدام اللغة الثانية، هذا النوع من الثنائية نعرفه بثنائية اللغة المزجي (bilingualitas majmuk).

^٤ المرجع السابق، ص ٧٠

ومن المعروف أن الكفاءة اللغوية لها أربعة عناصر: مهارة الكلام ومهارة الاستماع ومهارة القراءة ومهارة الكتابة. ومن السهل أيضا أن نتأكد أن الناس تتفاوت كفاءتهم في اكتساب تلك المهارات اللغوية الأربع. ويعني هذا أن الإنسان قد يكون ماهرا في الكلام وليس كذلك في الكتابة. وإذا أجرينا تحديد مستويات الكفاءات في لغة واحدة فنتمكن من حيازة ما نسميه بشخصية الكفاءة (competency profile) في اللغة المنوه بها. وعلى سبيل المثال شخصية كفاءة مدرس اللغة العربية على النحو الآتي: الكلام (٨٥ في المائة)، والاستماع (٩٥ في المائة)، والكتابة (٦٠ في المائة)، والقراءة (٩٠ في المائة) ونستعمل في هذا الصدد المعدل المئوي ١٠٠ في المائة في المقياس الممتاز. في حين أن شخصيته في اللغة الإندونيسية على النحو الآتي: الكلام (٩٠ في المائة)، والاستماع (٩٨ في المائة)، والكتابة أو الإنشاء (٨٥ في المائة)، والقراءة (٩٩ في المائة). ويمكننا تصوير كلتي الشخصيتين على الرسم التخطيطي التالي:



هـ- التداخل اللغوي

من الدراسة السالفة نلمح بوجود احتمالات تدلنا على حدوث نوع من التداخل اللغوي في الناطق بثنائية اللغة سواء كان بصورة إنتاجية أم بصورة استقبالية. وتلك التداخل اللغوي الذي حدث في التصرفات اللغوية الفردية نسميه التداخل التصرفي. وكان هذا التداخل اللغوي كثيرا ما يحدث عندما كان الإنسان لا يزال يدرس اللغة الثانية أو الأجنبية، ونسمي هذه الظاهرة التداخل النامي. كما حدث كثيرا في تعليم اللغة، فيحتاج ذلك إلى عناية المدرسين الفائقة بمعالجتها وخاصة في وضع وتقديم المواد الدراسية.

هناك نوع آخر من التداخل الذي يظهر في صورة التحول في لغة ما مع وجود عناصر الصوت أو أساليب لغة أخرى. ويعود ذلك إلى اتصال اللغتين أو احتكاكهما بواسطة التداخل التصرفي من قبل الناطقين بثنائية اللغة. ونعني بالتحول هو التحولات الحادثة في نظام اللغة، ومن أجل ذلك نسمي هذه الظاهرة التداخل النظامي (systemic interference)، فكان الأول الذي يحمل اسم التداخل الذي أطلق عليه وينريتش Weinreich (١٩٥٣) في كتابه Languages in Contact (الاحتكاك في اللغات)^٦.

وكانت آليات التحول اللغوي في التداخل النظامي هي المعروفة بالاستيعارة (borrowing) التي لها صلتها الوثيقة بالانتشار الثقافي (cultural diffusion)، فعلى سبيل المثال نجد في اللغة الإندونيسية كلمة pinsil (مأخوذة من الإنجليزية pencil)، ولفظة banku (مأخوذة من الهولندية bank)، وكلمة huruf (مأخوذة من العربية حرف) كما نجد في اللغة العربية كلمة البوليس (مأخوذة من الفرنسية police) ولفظة تلفون

^٦ صبري إبراهيم، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياها. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ ص ٨٥ - ٩٠ بالتصريف

(مأخوذة من الإنجليزية Telephone) ولفظة الفاتورة (مأخوذة من الإيطالية Facture) وما أشبه ذلك^٧.

و- أنماط ثنائي اللغة

إن في المجتمعات الثنائية اللغة عدة أنماط ثنائية اللغة التي تتكون من العناصر التالية: (١) اللغة المستخدمة. (٢) المجال اللغوي، و(٣) الشريك في اللغة. فكانت أنماط ثنائية اللغة تتمحور في الإجابة عن الأسئلة الآتية: أي لغة يتكلم بها الناطق؟ وفي أي مجال يتكلم؟ ومع من يتكلم؟ فمن هذا المنطلق كانت أنماط ثنائية اللغة في مفهوم شخصية الكفاءة ونوعية اللغة المستخدمة تستطيع أن تتغير على حسب العوامل الكامنة في المجتمع ومساكن الناطقين.

ز- خاتمة

بعدما بحث الكاتب عن الظواهر المتعلقة بثنائية اللغة في الفصول السابقة، فنقدم بعض النتائج المختصرة وهي أن هناك ظواهر ثنائية اللغة لا تنكر، وهي تدور بين تعامل الناس الاجتماعي. وعرفنا أن إجادة مرء بلغيتين أو أكثر، يسهل له في التعامل بين المجتمعات المختلفة، ولا سيما المجتمع الناطق بلغة يجيد بها. إن في ثنائية لغة المجتمعات ثلاثة عناصر لا يفترق عنصر عن الآخر، وهي اللغة المستخدمة (مادة اللغة)، والمجال اللغوي (مجال يتكلم به الناطق)، والشريك في اللغة (المخاطب الذي يتكلم معه الناطق).

^٧ خدشون، د، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة د. محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٢ - ٩٥ بالتصرف

المراجع

خدشون، د، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة د. محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٠ ص ٩٢ – ٩٥ بالتصرف

سوهريدي باسوكي، علم اللغة الاجتماعي الجزء الثاني، وزارة التربية والثقافة. جاكرتا ١٩٩٥

سوويطو، علم اللغة الاجتماعي، المدخل الأول، هندي، سوراكارتا، ١٩٨٣

صبري إبراهيم، علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياها. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥

نابان، المدخل في علم اللغة الاجتماعي، غراميديا، جاكرتا ١٩٨٤

<http://www.berliner-gesundheitsportal.de/index.php?=14&L=13>